مناهج الدراسة العامة

وهى الدراسة بالمدارس الأولية والمدارس الابتدائية

والقسم الاول من الدراسة الثانوية

غرضنا أن نذكر تحت هذا العنوان الأصل الذى يتخذه المربون أساسا لانشاء برامج الدراسة وأن نستنبط من هذا الاصل استنباطا نظريا محضا كل المواد التى يقتضى دراستها بالمدارس وأن نتبع هذا ببيان مايمكن تحقيقه من هذا البرنامج تحت العوامل والمؤثرات المختلفة

ان للتربية غاية والمدرسة عامل من عوامل التربية فينبغى أن تقوم بقسطها فى اعداد النشء لهذه الغاية وتقريبه منها

أما غاية التربية فان تجعل النشء قادرا على تحقيق مقاصده الحيوية فى البيئة التى يعيش فيها

وان المقدرة على القيام بأعباء الحياة لاتكون الا بأمرين

(١) كسب العلم و (٢) المهارة فى العمل

اذاً لابد أن يكتسب المربى المعارف والمهارة فى استخدام قواه الجسدية والعقلية اذا أريد اقداره على اسعاد نفسه واسعاد من يتصل به من أهله ومواطنيه باضطلاعه بنصيبه من خطوب الحياة .

أما العلم فقسمان : (١) علم بالأشياء و (٢) علم بالناس. كذلك ينقسم علم كل منا وكذلك ينبغى أن يكون علم الطفل . فأنه اينما كان وفى أى سن يكون تكتنفه الطبيعة ويرى حوله أهله واخوانه وسائر بنى وطنه

وكل علم يكتسبه مرجعه هاتان الدائرتان : الناس والطبيعة . والإنسان يزداد علما من هذه الدوائر على مر الايام وتعاقب الليالى فالطفل يعرف من الاشياء ماقرب منه وكلما تقدم فى السن زاد مقدار مايعرفه منها حتى يحيط علمه بالقاصى والدانى ويشمل مافى الأرض والسماء شمولا نسبيا

وكذلك حاله فى معرفة الناس : يعرف اهله فذويه فاهل بلده . ولا يزال علمه يزداد حتى يعم الناس جميعا

واعمالنا كعلومنا وأعمال الطفل كعلومه : كلاهما يتعلق بالدائرتين المذكورتين : — الطبيعة والناس . ومن اعمالنا مايرجع الينا انفسنا وكذلك من أعمال الطفل مامرجعه الطفل ذاته كما سنبين

فالعلم قسمان : علم بالاشياء وعلم بالناس

والعمل ثلاثة : عمل مرجعه الاشياء وعمل مرجعه الناس وعمل مرجعه الذات.

واكتساب العلم بنوعيه والمهارة فى العمل بانواعه لابد منهما لاقدار الانسان على أن يعيش عيشة تامة

واذ عرفنا غاية التربية والوسائل التى تحققها كان حقا بنا أن نسأل كيف تكون مناهج الدراسة بالمدارس ؟ وعلام تشتمل من مواد العلم والعمل المختلفة حتى تقوم بنصيبها فى تحقيق غاية التربية التى هى عامل مهم من عواملها ؟

ولكى نجيب عن هذا السؤال يحسن بنا أن نطرق الموضوع من

الوجهة النظرية البحتة لنرى ما يمكن المدرسة عقلا أن تكسبه تلامذتها من العلم والمهارة فى العمل ثم نتبع هذا ببيان مايمكن مناهج الدراسة تحقيقه من هذه الممكنات النظرية تحت العوامل والمؤثرات المختلفة .

قلنا أن العلم بالطبيعة اول شروط المقدرة على تحمل أعباء الحياة . وهذا العلم قسمان

(١) علم بحقائق الكائنات وظواهرها . و (٢) علم بما بينها من الروابط .

فعلم حقائق الكائنات وظواهرها يبتدىء بمعرفة الطفل ماحوله من الأشياء . وينتهى بأتم مايمكن معرفته من الكائنات أراضيها وسماويها ، ويشمل ذلك علوم النبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والفلك وعلم تركيب الأرض ومعادنها وعلم طبائع البشر وأجناسه . وبمعرفة تلك العلوم تعرف طبيعة الدنيا التى فيها وعليها يعيش الانسان ويسعى ليبلغ مقاصده وعلم مابين الكائنات من الروابط ويشمل علمى الحساب والهندسة وسائر العلوم الرياضية

وثانى شروط المقدرة على تحمل أعباء الحياة العلوم الاجتماعية وهى العلوم المتعلقة بالانسان لامن حيث جسمه وأجناسه وطبائعه فذلك من علوم الطبيعة : وانما المراد العلوم المتعلقة به من حيث هو مدنى ومن حيث هو حيوان مفكر مريد . واذا امرأ يراد به أن يخدم المجتمع الانسانى لايمكنه أن يقوم بتلك الخدمة على أحسن وجه وأتمه اذا لم يفهم بنى

جنسه وما أنشئوا من الحضارة والتمدن . فالتاريخ المدنى بفروعه والعلوم الطبيعية بمنزلة سواء . لابد منهما معا حتى نفهم الدنيا التى نعيش فيها حق الفهم ، ومالم نفهمها لانستطيع أن نخدمها حتى نتركها لخلفنا أحسن مما تركها لنا سلفنا

وللعلوم الانسانية جانب آخر هو العلم بالروابط التى تربط الناس بعضهم ببعض ، وأهم تلك الروابط اللغة والأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والشرعية . وخليق بمن لايفهم لغة قوم ولا يعرف نظام العلائق بينهم على وجهه ألا يفهمهم وأن يعجز بنسبة ذلك عن الاستقلال بأعباء الحياة بينهم

ذلك هو مقدار حاجتنا الى العلم لنقدر على أداء أعمال الحياة ، ولسنا بأقل حاجة الى المهارة فى العمل لاقدارنا على ذلك ، فيجب تدريب الاطفال على الاعمال المختلفة ليكتسبوا الحذق والمهارة

والاعمال كما قدمنا ثلاثة أقسام اعمال مرجعها الاشياء وأعمال مرجعها بنو الانسان واعمال مرجعها ذواتنا

فمن الاعمال التى مرجعها الاشياء والتى يجب على المدرسة أن تدرب النشء عليها الرسم والتصوير والاعمال اليدوية والخياطة والطبخ والنسيج . هذه الاعمال وما شابهها تسمى اعمال تغيير لانها تحدث تغييرا حقيقيا فى الاشياء التى تتعلق بها

وثم نوع من الاعمال التى مرجعها الاشياء لايقل اهمية عن النوع

المتقدم . ويجب أن تدرب عليه الاطفال . وذلك هو عمل البحث والتنقيب . وهو لا يحدث تبديلا فى الاشياء التى يتعلق بها وانما به كشفها واختبارها . وينتظم هذا النوع كل تدريب على الملاحظة وكل تجربة يجريها الطالب فى معامل الطبيعة والكيمياء وكل استنباط لقاعدة أو تطبيق يقوم به الطالب بنفسه .

والثانى من الاعمال مامرجعه الانسان وهو قسمان كذلك . عمل يؤثر فى الناس فيغير مواقفهم بالنسبة الى بعض أمور دنياهم أو دينهم أو بالنسبة إلى الشخص الصادر منه العمل . وعمل لا يقصد به التأثير فيهم . وانما يراد به فهمهم . فمن الاول الكلام والكتابة اللذان يبتدئان بمبادئهما البسيطة مع مايقتضيان من قواعد الاملاء والاعراب وينتهيان بالانشاء والخطابة والمناظرة وغيرها من الاعمال المثمرة التى يؤثر الانسان فى أخيه الانسان . ومن هذا النوع التدريب على حسن الادب والصدق فى المعاملة والتحلى بفاضل الاخلاق . وعلى المدرسة ان تقوم بنصيبها من التدريب على ذلك كما تعلم الكتابة والاملاء . ومن الثانى العمل التى تقتضيه القراءة والمطالعة فانا نطالع الكتب لنقف على تجارب الناس وأفكارهم ، وبذلك نفهمهم ونعرفهم

والثالث من أقسام العمل وهو ما مرجعه ذات العامل يشمل الالعاب النظامية التى ينبغى ان يدرب عليها النشء لكى يكتسب النشاط والقوة والصحة والمهارة فى الحركة . وأهم من هذا الرياضة على مضاء العزيمة وضبط العواطف وطرد الافكار والهموم لتتوجه قوة الانتباه

الى مايستحق العناية والاهتمام . وانّ المهارة فى أىّ عمل من هـذه الأعمال لتجعلُ النشء أحسن استعداداً الاعمال الحياة العامة منه بدونها فالواجب أن تجعل المدارس التدريب عليها جزءا من مناهجها .

*
* *

والخلاصة أنّ قدرة النشء على بلوغ مقاصد الحياة تستدعى علم الاشياء والناس والمهارة فى الاعمال المتعلقة بهما والاعمال المتعلقة بذاته.

واذا كان العلم والمهارة مناط القدرة على بلوغ مقاصد الحياة وكانت تلك القدرة غاية التربية كانت التربية الحقة ما اكسبت صاحبها علما ناما غير محدود ومهارة فى العمل لاتفوقها مهارة .

بيد ان العلم المطلق العام والمهارة الكاملة من المستحيلات عملا ومعنى ذلك استحالة بلوغ التربية اسمى معانيها ؛ فمهما حسنت الفرص واستقامت الاحوال فان الاحاطة غير مستطاعة فى فرع واحد من فروع العلم والعمل . فكيف بها جميعا ! ؛ فمن ذا الذى يأمل ان يعرف تلميذه التاريخ أو الرياضة أو اللغات معرفة تامة ؛ وهل فى الدنيا من عالمه محيط بأصغر دوائر المعارف ؛ وهل أحد يخيّل اليه أن المهارة فى أي عمل يمكن أن تبلغ تمامها فى المدرسة ؛ وان أستاذا من أساتذة الانشاء يكتب بأسلوب لايمكن ان يفوقه فيه أحد ؛ اللهم لا ! !

على ان تلك الاحاطة غير مرغوب فيها لانها قليلة الجدوى فى الاقدار على بلوغ مقاصد الحياة فان اعمال الحياة موزعة . ولكل انسان غرض يسعى

ليدركه من الطريق الخاص به الموصل اليه ولهذا كان الأطباء والفقهاء والمهندسون والمعلمون وسواهم من سائر الاخصائيين فى اعمال الحياة فكل من هؤلاء يختار من المعارف ماينفعه فى مهنته فيتفرغ له ويتجر فيه ويترك ماسواه من سائر الفروع لقلة جدواه فيما قصد له

وكذلك الأخذ من كل بطرف غير مفيد ولا سيما فى ايام الدراسة الاولى، فمن منا يجد معرفة اللغة الفارسية او تاريخ الصين متوقفا عليها بلوغ مقصده فى الحياة ؟ أو أن نجاحه فى تحصيلها لا يكون الا ببدء تعلمها فى سنى الدراسة الاولى ؟

واذ كانت الاحاطة بكل فروع العمل والعلم والأخذ من كل بطرف غير ممكنين ولا مرغوب فيهما تحتم الأخذ بمبدأ الاختيار. ولذا لا ترى احدا يحاول أن يكسب من العلم أو يتقن من العمل الا بمقدار مايبلغه مقاصده الحيوية . ويختلف القدر الذى يختار كسبه من العلم واتقانه من العمل باختلاف البلاد والطبقات

ومهما يكن هذا القدر المختار فهل على المدرسة فى أطوارها الاولى ان تقوم باكسابه كله لتلاميذها ؟ ان للمدرسة فى تلك الاطوار اتصالا بما يسبقها من تربية المنزل

وبما يلحقها من الدراسة بالقسم الثانى بالمدارس الثانوية والدراسة بالمدارس العليا وما يتبع هذه من تربية الحياة العامة . فبعض هذا القدر المختار من العلوم والاعمال يبتدىء والطفل بالمهد . وليس على المدرسة فيه الا أن تستمر من حيث انتهى المنزل وبعضه لا يبتدئ الا فى المدرسة

واتمام هذا وذاك انما يكون فى مدارس الاخصائيين والحياة العامة .

فعلى المدرسة اذا أن تبتدىء عملها من حيث انتهى المنزل وان تكسب تلامذتها علما وعملا عامين شاملين صالحين أن يكون أساسا يبنى عليه مايكسبه الاخصائيون فى السنتين الاخيرتين من الدراسة الثانوية والمدارس العالية ومدارس الحياة

وواضعو مناهج الدراسة من المربين يلاحظون هذا كما يلاحظون العوامل الآتية : —

(١) أن قوى النشء العقلية محدودة فيما يتعلق بمقدار الدرس . فان العمل الذى يمكن الرجل التام القوى اداؤه محدود المقدار فكيف بالطفل ! ! ولذا كان الاستمرار فى الدرس بعد حد محدود مدعاة للملل التلميذ وضعف انتباهه وخور عزيمته . ولا ثمرة ترجى للتعليم مع هذه الصفات . وان ارهاق الطفل يؤثر فى العمل الذى يؤديه وينتج الاهمال وعدم الاتقان ، اذ يقوم بالعمل لارغبة فيه بل رهبة من العقاب وتأدية للواجب كما يقولون . واذاً تسوء النتيجة . وسوءها اذا توالى جالب يأس النشء لا محالة . ولا قوة على العمل مع اليأس اذا بقيت معه الحياة .

فتحتم تحديد زمن الدرس والدراسة اليومية وتعاقب الدروس وان يتخللها ازمنة فراغ من العمل للراحة منها وان تعطل فى الاخمسة والجمع وأثر الامتحانات ومدة الصيف .

وواضعو المناهج يلاحظون كل ذلك حتى لا يقرروا من الدراسة

السنوية ما يكون فى اتمامه فيما بقى من السنة ارهاق للتلاميذ وتحميلهم ما لا قبل لهم به

(٢) أن قوى النشء العقلية محدودة فيما يتعلق بمادة الدرس . فمن الحقائق الثابتة أنه لا ثمرة ترجى من الدرس أو أى جزء منه مالم يفهمه النشء وأن المسائل الجديدة انما يفهمها فى ضوء مالديه من المعلومات التى لها ارتباط بها . فلا ينبغى أن ننتظر منه فهم ما يعرض عليه اذا كان بحذافيره جديدا ليس لديه سابق علم بما يرتبط به . ويقتضى ذلك امرين :ـ (أ) ألا يعرض على النشء من المسائل مالم تمهد له دروسه الماضية . و (ب) الا يطالب بفهم مافوق طاقته العقلية وبما أن الطفل فى أول حياته المدرسية ليس لديه من المعلومات مايهضم به ما يعرض عليه بالمدرسة الا القليل الضئيل — لذلك وجب الا تحتوى كتب الدراسة الاولى من العلم الا ما يناسب ذلك وان تزيد المعلومات تدريجا وبنسبة اتساع نطاق عقول التلاميذ . وواضعوا المناهج يلاحظون هذا ومؤلفو الكتب يعبرون عما بها بالعبارة الملائمة ويوضحونه بالامثلة المفهومة وقد شذت عن ذلك كتب القواعد بالمدارس الابتدائية فان عباراتها وامثلتها غير ملائمة

(٣) اختلاف مقاصد الحياة . انا لا نقصد بذلك أن التلميذ فى سنى الدراسة الاولى اذا كان يراد به أن يكون من علماء القانون أو صانعا ينبغى له أن يدرس غير مايدرسه تلميذ معه يراد به أن يكون طبيبا أو زارعا . ولا نقصد أن ابن مصر فى القرن العشرين ينبغى أن يدرس

فى تلك السنين اللغة الهيروغليفية أو تاريخ روسيا بالتفصيل لانه ينوى أن يكون مؤرخا أو عالما من علماء الآثار . لا . انا لا نقصد هذا ولا ذاك فان هذا النوع من الاختلاف لا ينبغى أن يؤثر فى وحدة الدراسة فى سنيها الاولى . وانما الذى يؤثر هو الاختلاف فى الجنس . ولذلك لم يقرروا فى مناهج الذكور ماقرروه للاناث من كسب المهارة فى الطبخ والخياطة والتطريز والنسيج لعدم حاجة الذكور الى المهارة فيها لتحقيق مقاصدهم الحيوية .

(٤) اختلاف البيئات . ولذلك تجعل كل أمة علوم بلادها الكونية والاجتماعية فى المكان الأول من مناهج تعليمها . فتاريخ مصر وجغرافيتها واللغة العربية أهم فروع التعليم عندنا ولو طبقنا هذا المبدأ تطبيقا تاما لما سمحنا بتعليم أى لغة أجنبية فى سنى الدراسة الاولى

واختلاف البيئات فى المملكة الواحدة ينبغى أن يعطى الاعتبار اللائق به كذلك . ففى الجهات التى يشتغل أهلها بالتجارة تنشأ مدارس يعلم فيها الحساب التجارى وإمساك الدفاتر ومعلومات عامة فى التجارة والصناعة . ولذا كانت مدرسة التجارة المتوسطة عندنا . وفى الجهات التى يشتغل أهلها بالزراعة تنشأ مدارس تعلم فيها المساحة والزراعة والتاريخ الطبعى المطبق على الزراعة ولذا كانت مدارس الزراعة المتوسطة

(٥) تحديد زمن الدراسة . وهو عامل فى تقليل العمل المدرسى — فى أن النشء يخرج من المدرسة أو يرقى الى مدارس الاخصائيين ولم يكتسب من العلم والعمل العامين الا ما اكتسب . وهذا التحديد

لابد منه لتنفيذ سياسة التعليم ، ذلك ان المدارس عندنا انما انشئت لتعليم تلاميذها مايكفى لاقدارهم على خدمة الحكومة ، فوضعت لها المناهج على هذا التقدير ، وحدد الزمن الكافى لدراستها فكأن مانرى. وأولياء امور التلاميذ راضون عن ذلك فرحون به لأنه أقل نفقة وأسرع مكسبا ، ولولا ذلك لأمكن أن تزيد مدد الدراسة العامة على ماهى عليه الآن ليخرج النشء من المدارس أتم علما وأمهر عملا

(٦) التقاليد العامة وهى شديدة الاثر حتى أنها لتقاوم كل محاولة فى احداث انقلاب عنيف فى مناهج التعليم ، ذلك لأن النظم الحاضرة أصبحت تقاليد ورثها الخلف عن السلف وذاقوا ثمرتها فألفوها وأحبوها وجهلوا ماسواها فاستوحشوه وعادوه ، والناس أعداء ماجهلوا ، وذلك شر الكفاح الطويل الذى سجله تاريخ التربية بين معاهد التعليم والمصلحين فى الأزمنة المختلفة

شرف الدين خطاب
المدرس بدار العلوم

* * * *